جذور الحضارة الإسلامية والعربية في غامبيا

آدم محمد سونكو- Adama Sonko
الطالب الباحث في سلك الدكتوراه في الفقه وأصوله
في جامعة الأرائك الدولية، فرع الرئيسي بالعراق

مقدمة

الحمد لله الذي فرّق بين من أَسَّس بنيانه على التقوى، وبين من أَسَّس بنيانه على شفا جرف هار، ثم الصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا وحبيبنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الأبرار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن موضوع جذور الحضارة الإسلامية والعربية في غامبيا، له أهمية بالغة نظرا لما لهذه الحضارة من أثر في المجتمعات وأفرادها، ومن أثر في تنشئة هذه الأفراد تنشئة صالحة مصلحة بناء على منهج القرآن الكريم، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم:«خَيْرُكُمْ من تَعَلَّم القرآن وعَلَّمَه[1]» وقال فيه أيضا:«إنَّ الَّذِي لَيْسَ في جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ كالبَيْتِ الخَرِبِ[2]»، ومن هنا يتبين لنا بأن القرآن الكريم به تكون عمارة القلب، وهو الذي يعطي للقلب معناه الحقيقي. فلا يكمل معنى القلب ولا يعمر ولا يبتهج إلا إذا حضر فيه شيء من هذا القرآن؛ وبهذا نستنتج بأن البلاد التي ليس فيها شيء من القرآن الكريم بلاد خربة، وانطلاقا من هذا وذاك عمل العلماء من تجار العرب والبربر على إنشاء الحلقات القرآنية في الأمصار والأقطار التي من شأنها تعليم القرآن الكريم وعلومه، في مشرق البلاد ومغربها، وفي داخل البلاد وخارجها، وأيضا ساهمت هؤلاء التجار المسلمون من العرب والبربر في إحياء الثقافة العربية والإسلامية في غامبيا، وحفظت لنا هذه الثقافة الدين رغم تراكم التحديات، فكانوا كما قال الله تعالى:﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمرن: 145]، وكانوا مع ذلك كله يرجون من الله أن يهب هؤلاء بأولاد وأحفاد المصلحين من العلم ما قصر عنه علمهم وجهدهم، وكانوا مسالمين ومعاونين مع المجتمع في إصلاح الناس، وكانوا يعلمون الناس دين الله حسب مبلغ علمهم، وكان المذهب الأشعري هو السائد في غرب الإسلامي وقتيئذ مع وجود فئة قليلة ممن كانوا على مذهب أهل الحديث، فكانوا خير سلف لنا، ونرجو الله بأن نكون خير خلف لهم.

يهدف هذا البحث إلى بيان جذور الحضارة الإسلامية والعربية في غامبيا ودور التجار المسلمون من العرب والبربر وأثرهم في استدامة الإسلام في غامبيا كما نستعرضه في المباحث الآتية.

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في إبراز موقف التجار المسلمون من العرب والبربر وأثرهم في استدامة الإسلام في غامبيا، وبيان جهودهم في نشر العلم ومحو الأمية وترسيخ القيم الإسلامية عن طريق تعليم علوم الدين وتربية أبناء المسلمين تربية إسلامية رصينة، ويمكن أن أختصر هذه الأهمية في النقاط الآتية:

- تكمن أهمية هذا البحث في كونه متعلقا بالجذور الحضارة الإسلامية والعربية بغاميا التي منها

1- صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ر.ح: 5027، المطبعة السلطانية، مصر، 1311هـ، (192/6).

2- سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، ر.ح: 2913، تح: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ط: 1، (35/5).

انطلقت الدعوة الإسلامية إلى الديار الغامبية وتلقها الناس ونقلها بعضهم إلى بعض جيلا إلى جيل حتى ظهرت هذه المدارس الإسلامية الحديثة.

- إن هذا البحث يحث الدارسين والباحثين الغامبيين على الاهتمام بالتراث الإسلامي الغامبي والبحث فيه.
- كما تتجلى أهمية هذا البحث في إبراز الإسهامات التي أسهمت بها التجار المسلمون والبربر في مجال التعليم وتثقيف الناس في أمور دينهم .
- إبراز موقف التجار المسلمون من العرب والبربر وأثرهم في استدامة الإسلام في غامبيا.

دوافع البحث

لا شك في أن هذا البحث الذي أقدمه بين يدي الباحثين قد دفعني إلى إنجازه مجموعة من الأسباب الذاتية والموضوعية؛ لكن سأكتفي بالإشارة إلى أهم الأسباب الموضوعية وسأختصرها في الأمور الآتية:

الأسباب الموضوعية :

- الرغبة في خدمة العلم والدين، وابتغاء مرضاة الله وثوابه، والرجاء من الله أن ينفع الدارسين والباحثين به بعدي.
- العمل على إظهار التراث الإسلامي الغامبي، وحث الباحثين إلى الاهتمام به وإحيائه في بحوثهم.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:

- بيان مكانة التجار المسلمون من العرب والبربر وأثرهم في استدامة الإسلام في غامبيا.
- تشجيع مثقفي غامبيا ليحذوا حذو هؤلاء الجهابذة الأعلام في مجال التعليم والتربية.
- بيان أسبقية التعليم الإسلامي العربي في غامبيا على التعليم الغربي، وأن التعليم الغربي ما هو إلا وليد الاستعمار.

إشكالية البحث

من أهم الإشكاليات التي تطرح في هذا البحث هي:

- ما هي جهود التجار المسلمون من العرب والبربر وأثرهم في استدامة الإسلام في غامبيا ؟
- أين تتجلى الإسهامات التي ساهمت بها التجار المسلمون من العرب والبربر في استدامة الإسلام في غامبيا ؟
- إلى أي حد تأثر أهل غامبيا بالثقافة العربية الإسلامية؟

منهج البحث

- لما كان من طبيعة الموضوع في الأساس هو تحديد منهج البحث، فإنني اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الواقع ودراسته وتحليله على ضوء المعلومات التي توصلت إليها من خلال بحثي في هذا الموضوع المتعلق بالجذور الحضارة الإسلامية في غامبيا.
- كما استفدت أيضا من المنهج التاريخي للوقوف على بعض القضايا التاريخية التي مرّ بها التعليم الإسلامي في غامبيا.

الدراسات السابقة

لقد عثرت على بعض البحوث في غامبيا التي لها صلة قريبة أو بعيدة بهذا البحث، ومن هذه البحوث التي

عثرت عليها بحث بعنوان:

- (المراكز الإسلامية العتيقة في غامبيا: الكتاتيب والمجالس العلمية أنموذجا) للدكتور عبد القادر سيلا، وهو بحث مقدم في المؤتمر المحلي الافتراضي عبر الزوم للجنة الدعوة في إفريقيا بالتعاون مع اتحاد علماء إفريقيا شارك به في دبي، الإمارات العربية المتحدة عام 2020م، وقد تطرق الدكتور في بحثه إلى ذكر أبرز الكتاتيب والمجالس العلمية في غامبيا من أوائل القرن التاسع عشر الميلادي إلى نهاية القرن العشرين الميلادي، لكنه بحث اقتصر على ذكر نماذج الكتاتيب والمجالس ومناهجهما في التعليم، وهو بحث يقع في حدود 52 صفحات.
- (جهود علماء إفريقيا في مجال الدعوة إلى الله: غامبيا نموذجا) لابن تماني دنجوا، وهو بحث مقدم في الملتقى الدعوي لاتحاد علماء أفريقيا العام 2021م، وقد تناول الباحث في هذا البحث نبذة عن جهود علماء غامبيا في مجال الدعوة إلى الله، لكنه سلط الضوء على المعاصرين الأحياء أكثر من المتقدمين، ويقع هذا البحث في حدود 55 صفحات.

خطة البحث

لقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

هذا البحث يتكون بمبحثين اثنين، وأربعة المطالب، خصصت المبحث الأول للحديث عن دخول الإسلام إلى غامبيا، وجعلته في مطلبين، المطلب الأول تناولت فيه الموقع الجغرافي لغامبيا، والمطلب الثاني تحدثت فيه عن دخول الإسلام إلى غامبيا، وخصصت المبحث الثاني للحديث عن التجار المسلمون من العرب والبربر وأثرهم في استدامة الإسلام في غامبيا، في مطلبين، المطلب الأول تحدثت فيه عن دور التجار المسلمون من العرب والبربر في نشر الإسلام بغامبيا، وفي المطلب الثاني تناولت فيه تأثير الإسلام في غامبيا.

المقدمة: وفيها أهمية البحث ودوافعه وأهدافه وإشكالياته ومنهجه والدراسات السابقة وصعوباته.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

صعوبات البحث

لا بد لكل بحث من صعوبات تعتريه في أثناء كتابته، ومن تلك الصعوبات التي واجهها في هذا البحث ما يأتي:

- قلة المصادر والمراجع في هذا الموضوع.
- ندرة المعلومات المتعلقة بهؤلاء التجار المسلمون من العرب والبربر، وذلك لعدم اهتمام الباحثين بكتابة ترجمتهم ترجمة وافية.

وأخيرا أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل المشرف النبيل الدكتور عبد اللطيف تلوان الذي كان سببا وخير عون لنا في إنجاز هذا البحث، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: دخول الإسلام إلى غامبيا

المطلب الأول: الموقع الجغرافي لغامبيا

تقع جمهورية غامبيا على امتداد جانبي نهر غامبيا ، والذي ينبع من شمال غرب غينيا كوناكري ، ثم يتدفق شمالا باتجاه غامبيا قبل أن يصب أخيرا في المحيط الأطلنطي، ويعد الشريان المغذي لوسائل التنقل في الدولة؛ وموقع غامبيا في القارة الإفريقية يقع بالتحديد في الغرب على ساحل المحيط الأطلنطي في الطرف الغربي ، وتحيط بها من جميع الجهات دولة السنغال، ما عدا جهة الغرب، والسنغال هي الدولة الوحيدة التي تحدها من الشمال والشرق

والجنوب، وتعتبر غامبيا أصغر دولة في قارة إفريقيا، وتتميز بضفاف أنهارها، ونمو أشجارها، وصلاحية أرضها للزراعة؛ وقد نالت استقلالها بتاريخ 18 فبراير 1965م، وأصبحت غامبيا ضمن رابطة الشعوب البريطانية، وأصبح داودا كايرابا جاوارا رئيسا لغامبيا بعد الاستقلال سنة 1970م، وهو أول رئيس لغامبيا بعد الاستقلال.

خريطة غامبيا

مساحة غامبيا

وجميع حدود البلد المكونة من 740 كم مشتركة مع السنغال ما عدا الحدود الغربية بطول 80 كم من ساحل المحيط الأطلنطي"[1].

إذن غامبيا دولة صغيرة مساحةً بالمقارنة مع الدول الأخرى.

سكان غامبيا"تبلغ مساحة غامبيا 11.300كم2، وتعتبر 300، 1كم2من مساحة البلد مغطاة بالماء،

غامبيا دولة صغيرة في غرب القارة الإفريقية، ومساحتها صغيرة، وكذلك فإن عدد سكانها قليل حيث لا يجاوزون 2.5 مليون نسمة حسب إحصائية التعداد السكاني للعام 2022م.

التقسيمات الإقليمية والإدارية لغامبيا :

تنقسم غامبيا إداريا إلى خمسة أقاليم، ومديريتين وهي كالآتي:

الأقاليم الخمسة لغامبيا:

إقليم الساحل الغربي (west coast region)

إقليم الضفة السلفى (lowr river region)

إقليم الضفة الشمالية (north bank region)

إقليم الضفة الوسطى (central river region)

إقليم الضفة العليا (upper river region)

1- المؤسسات الدعوية والتربوية في غامبيا ودورها في مواجهة التطرف الديني، د. محمد الأمين سيلا، رسالة الأطروحة لنيل الدكتوراه في علوم التربية، جامعة الإسلامية بمنيسوتا الولايات المتحدة الأمريكية فرع السنغال، العام الجامعي: 2019- 2020م، (ص: 22).

المديريات الإقليمية لغامبيا:

أولا: مديرية بانجول (Banjul city council)

ثانيا: مديرية كانفنغ (kanifing municipal council)"[1]

المطلب الثاني: دخول الإسلام إلى غامبيا

1. الدين في غامبيا

الإسلام هو الدين الأكثر انتشارا في غامبيا حيث يشكل المسلمون حوالي 92٪ من السكان، ولهذا السبب يعد الإسلام هو الدين الرسمي في غامبيا، "ولكنْ المادة الخامسة والعشرون من الدستور الغامبي نصت على حماية حق مواطنيها بممارسة أي ديانة يختارونها، كما أن الحكومة لم تحدد ديانة رئيسية للدولة، ولكن يعتبر الإسلام السائد في البلد، حيث يعتنقه 92٪ من السكان"[2].

ويقول الدكتور محمد الأمين سيلا: "يتبع غالبية مسلمي غامبيا المذهب السني، وتتوقف الحياة الاقتصادية في الأعياد الإسلامية كعيد الأضحى وعيد الفطر، وينتمي مسلمو غامبيا إلى المذهب المالكي في الفقه، وأما الجالية المسيحية فتمثل نحو 6 ٪ من السكان، ويقطن المسيحيون في الأجزاء الغربية والجنوبية من غامبيا، ويتبع معظمهم الكنيسة الكاثوليكية، توجد طوائف مسيحية صغيرة أخرى كالأنجليكانية والميثودية وغيرها، نظرا للهجرة من جنوب آسيا، هناك تواجد للبهائيين والأحمديين والوثنيين الذين يشكلون 2 ٪ من السكان"[3].

إذن الدين السائد في البلد هو الإسلام، ولذلك تعتبر غامبيا دولة مسلمة باعتبار دين أغلبية السكان؛ لأنهم يشكلون 92٪ من السكان.

2. دخول الإسلام إلى غامبيا

لا يوجد قول فصل في تاريخ دخول الإسلام إلى غامبيا بالتحديد، وذلك لأن غامبيا تعد جزءا من تاريخ غرب إفريقيا، والإسلام دخل في غرب إفريقيا قديما، ثم إن مما ذهب إليه جلّ المحققين من علماء التاريخ الإسلامي، وكثير من الباحثين الأكاديميين المعاصرين مثل: الطيب بن عمر الشنقيطي، والدكتور عصمت عبد اللطيف دندش، وبُبَكري باري السنغامبي[4]، والدكتور عبد الله عيسى، وبن تُماني الغامبي، إلى أن الإسلام دخل بشكل مبدئي في بلاد التكرور[5] أو غرب إفريقيا منذ منتصف القرن الأول الهجري، والرُّبع الأخير من القرن السابع الميلادي، فبعد أن أكمل العرب المسلون فتح مصر، اتجهوا غربا إلى برقة، وطرابلس، ثم تدفّقوا بعد ذلك إلى إفريقيا، بقصد الاستيلاء عليها، وذلك عن طريق عقبة بن نافع الفهري القرشي الفاتح العظيم[6] الذي أمره الخليفة بأن يتوسع في الفتوحات لنشر الإسلام والتمكين له، فرأى أن يؤسس عاصمة للمسلمين هناك تكون منطلق الفتوحات، فأسس مدينة القيروان سنة 50ه، فأنشئت حينها المراكز والمؤسسات العلمية واكتمل صرحها فيما بعد إلى أن اكتمل فتح

1- المؤسسات الدعوية والتربوية في غامبيا ودورها في مواجهة التطرف الديني، د. محمد الأمين سيلا، (ص : 23).

2- المؤسسات الدعوية والتربوية في غامبيا ودورها في مواجهة التطرف الديني، د.محمد الأمين سيلا، (ص: 26).

3- المؤسسات الدعوية والتربوية في غامبيا ودورها في مواجهة التطرف الديني، د.محمد الأمين سيلا، (ص: 26).

4- وهو مصطلح يطلق على منطقة جغرافية في غرب إفريقيا تقع بين نهر السنغال في الشمال ونهر غامبيا. في الجنوب.

5- هي السودان الغربي التي تعرف اليوم بغرب إفريقيا.

6- ينظر: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، د. عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان، ط: 1، 1988م، (ص: 36- 37). وجهود علماء إفريقيا في مجال الدعوة إلى الله غامبيا نموذجا، لابن تماني دانجو، وهو بحث مقدم في الملتقى الدعوي لاتحاد علماء أفريقيا، 2021م، (ص: 13).

غرب إفريقية ودان أهلها بالإسلام، وظلت منذ ذلك الحين ضمن الوطن الإسلامي الكبير.

وقد استغرق زمن فتح إفريقية أكثر من نصف قرن من الزمن، وكلف المسلمين تضحيات كبيرة وغالية جدا، ولم يكن هذ الفتح فتحا عسكريا استعماريا هدفه الاحتلال والتخريب والسلب والنهب، وإنما كان فتحا رساليا كانت الدعوة إلى دين الله مقدّمة فيها على كل شيء، تنفيذا لأوامر الله تعالى في تبليغ دينه للعالمين، وهكذا كان حالهم كلما تقدموا في البلد، كما أنه لم يكن أيضا أفراد الجيش الفاتح جنودا مقاتلين فحسب؛ بل كانوا قبل ذلك معلمين وهداة وقدوة يهتدى بهم، ويحملون الخير إلى كل بلاد قصدوا الدخول فيها، ومن هذه البلاد بلاد غرب إفريقية وما حملوه إليها من الخير الوفير.

وتدخل ضمن هذه المنطقة المذكورة دولة (غامبيا) التي لم تنل حظها الكامل من الكتابة والعناية في كل العصور، شأنها كشأن شعوب منطقة غرب إفريقيا المسلمة؛ لتتولى من بعد هذا الفتح الإسلامي لغرب إفريقيا نشر الدعوة بشكل منظم مما أعطى نتائج مشرقة في تاريخ تلك المنطقة، بعد أن استقر وتعزز الإسلام فيها[1].

وإذا كانت بعض البلدان الإسلامية قد دخلها الإسلام دون جهد عسكري على يد دعاة متفرغين للدعوة أو بأخلاقيات المسلمين التي عاملوا بها الناس؛ فإن غامبيا من البلدان التي دخلها الإسلام دون جهد عسكري.

المبحث الثاني: التجار المسلمون من العرب والبربر وأثرهم في استدامة الإسلام في غامبيا

المطلب الأول: دور التجار المسلمون من العرب والبربر في نشر الإسلام بغامبيا

لقد أدى التجار المسلمون أعظم الأدوار في نشر الدين الإسلام في غرب إفريقيا عموما وغامبيا خصوصا، الأغنياء منهم خاصة، وذلك اقتداء بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿10﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿11﴾**﴾ [الصف :10- 11]

حيث كانوا يتكلفون بأنفسهم استقدام العلماء والفقهاء إلى هذه المناطق لدعوة الناس إلى الإسلام وتعليمهم أمر دينهم، لكي يكثر عدد المسلمين فيها.

يقول الباحث إسحاق جوف الغامبي: "عمد بعض التجار إلى تشييد المدارس والمساجد وكثيرا ما كانوا يختارون أفذاذ الطلاب من السكان الأصليين لإرسالهم إلى المعاهد الإسلامية الشهيرة في المغرب ومصر أو الشمال الإفريقي ليتلقوا مزيدا من العلم وليعودوا إلى بلدانهم متفقهين، وعندما كثر إقبال الإفريقيين على السفر للتعلم في المعاهد العلمية الشهيرة عمد كثير من التجار المسلمين إلى بناء بيوت لهم يعيشون فيها طيلة التحاقهم بهذه المعاهد، كما قدم هؤلاء التجار ما احتاجه الطلاب من نفقات ومصروفات.

وكان من نتائج احتكاك هؤلاء التجار واختلاطهم بالأفارقة أن حدث بينهم تزاوج ومصاهرة فانتشر الإسلام تدريجيا وسلميا في تلك البقاع، فالدعاة سواء كانوا من العرب أو من البربر أو من السكان المحليين، كانوا وسيلة من الوسائل التي ساعدت على ازدهار الحضارة الإسلامية، فقد كانوا يدعون الناس إلى الإسلام، ويفقهونهم في أمور دينهم، وذلك لإلمامهم بأصول الدين والشريعة الإسلامية ومبادئها السامية؛ لذا حظِيَ هؤلاء الدعاة بتقدير الأهالي لهم"[2].

1- ينظر: التعليم الإسلامي في غامبيا، لإسحاق جوف، رسالة علمية مقدمة لنيل على درجة الماجستير، في الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العام الجامعي: 1439- 1440ه، (ص: 27).

2- الدعوة الإسلامية في غامبيا واقعها ومعوقاتها وسبل علاجها، لإسحاق جوف، رسالة علمية مقدمة لنيل على درجة الماجستير، في الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العام الجامعي: 1439- 1440هـ، (ص : 46).

وفي هذا الصدد يقول الباحثان: دحمان مسعود وفرحان هجيرة: " كان منهج التجار مبنيا على الإرشاد والتسامح واستخدام وسائل الترغيب بتأسيس المساجد والمدارس وحسن المعاملة، ومصاهرة سكان البلد وتعليم مبادئ الدين الإسلامي، مع نشر مبادئ الحرية والإخاء والعدالة بين الناس، وكان الطابع الأساسي لنشر الدعوة هو السلم والإقناع"[1].

إذن فالتُّجار لهم دور كبير جدا في نشر الإسلام وترسيخه، حيث كان التاجر المسلم سواء من العرب أو البربر أو ممن أسلموا من أهالي المنطقة يجمع بين التجارة ونشر الإسلام وإذا ما دخل مثل هذا التاجر قرية وثنية فسرعان ما يلفت النظر بوضوئه وانتظام أوقات صلاته ، وعبادته وما يتحلى به من سمو عقلي وخلقي؛ وبذلك فرضوا احترامهم والثقة بهم على الأهالي الوثنيين كما وثق بهم رجال الطبقة الأرستقراطية فاستقبلوهم في بلاط الملوك بكل ترحاب لسمو أخلاقهم وخبرتهم السياسية والإدارية والمالية، وعند استقرار التجار المسلمين في أحد المدن ينشئون كتاتيب القرآنية أو مدارس لتعليم الناس الإسلام.

1. المذهب الفقهي المعتمد في غامبيا

يعتبر المذهب المالكي هو المذهب المعتمد في غامبيا، المفتى به بين العلماء والفقهاء في المسائل الفقهية، وذلك أن المذهب المالكي دخل في هذه المنطقة مع دخول الإسلام إليها، وانتشر فيها، في وقت مبكر وبشكل واضح.

وهذا ما أكدته الدكتورة فريدة زمرد أستاذة التعليم العالي بمؤسسة دار الحديث الحسنية، بالرباط لما قالت: "لا يمكن فصل دخول المذهب المالكي إلى الغرب الإفريقي عن تاريخ دخول الإسلام إلى هذه المنطقة. والدراسات التاريخية قديما وحديثا تتفق على أن المذهب المالكي دخل غرب إفريقيا، بعد الفتح الإسلامي للمغرب خلال القرن الأول للهجرة، ثم سرعان ما استقر وانتشر"[2]

وبينت الدكتورة أيضا سبب اختيار الأفارقة للمذهب المالكي وهو أن المذهب المالكي "هو الوحيد الذي عرفته دول غرب إفريقيا، وأن له مميزات ما جعلت علماء هذه البقاع ترتضيه وتقبل على تعلمه ونشره، وذلك باعتباره مذهب إمام دار الهجرة، ومذهب عاصمة الرسول عليه الصلاة والسلام، وكونه من أكثر المذهب الفقهية الإسلامية اعتدالا وواقعية ومرونة"[3].

ويقول الباحث أبو بكر كونتي الغامبي في انتشار المذهب المالكي في غامبيا ، بأن الدعاة الذين دخلوا في البلاد أغلبهم مالكيون في المسائل الفقهية، يتداولون الكتب المالكية، مثل: مختصر الأخضري، للإمام عبد الرحمن الأخضري (ت1546م- وقيل 1575م)، ومتن العشماوي، للإمام عبد الباري العشماوي (ت1495م)، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ)، ومختصر الشيخ خليل (ت776هـ)، في المراكز التعليمية تدريسا وتعليما، حيث اعتكف أهل تلك المراكز على تعليم الطلاب دينهم مما جُمع في تلك الكتب المتضمنة فتاوى الإمام مالك وأصحابه دون غيرها من المذاهب الأخرى، كما أن لانتشار هذه الكتب في البلاد جعل لهذا المذهب قبولا لدى أهلها، وجعل الخلافات

1- التجار المغاربة ودورهم في نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي من ق 07 إلى ق 10 ه، للباحثين دحمان مسعود وفرحان هجيرة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، جامعة أحمد دراية أدرار الجزائر، العام الجامعي: 2021- 2022م، (ص: 33).

2- ينظر: موقع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، مداخلة الدكتورة فريدة زمرد من الندوة العلمية التي ينظمها فرع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة في جنوب أفريقيا تحت عنوان الثوابت الدينية المشتركة: أسس الهوية الأفريقية، وذلك يومي السبت والأحد: 29 و30 يونيو 2019م، بمدينة بريتوريا في جنوب إفريقيا.

3- الموقع نفسه.

أيضا بين العلماء في المسائل الفقهية قليلة ونادرة، وهكذا ظلّ الفقهاء في البلاد يفتون بالمذهب المالكي في المسائل دون النظر إلى المذاهب الأخرى"[1].

إذن أهل غامبيا يتعبدون الله وفق المذهب المالكي، وتعاليمهم الفقهية تعتمد على الفقه المالكي، وإلى الآن مازال في بعض المساجد إذا رأى الناس من يقبض يده في الصلاة، يتهم بأنه خالف المذهب المالكي، وأنه من الوهابية[2]. وبعض الشيوخ في بعض المناطق لازالوا يمنعون طلابهم من القبض في الصلاة، ومن ركعتي المسجد والإمام يخطب يوم الجمعة، وركعتي المسجد قبل صلاة المغرب، ويمنعون كذلك إمامة الأعزب لأنه لم تكتمل ديانته، وليس بكامل الدين.

2. العقيدة والسلوك المتعارف عليه في غامبيا في القرون الماضية

العقيدة والسلوك المتعارف عليه بين المسلمين في غامبيا في القرون الماضية هي العقيدة الأشعرية لأنها دخلت إلى غامبيا مبكرا، بل هي العقيدة المتعارف عليها في غرب إفريقيا برمتها.

يقول الباحث أبو بكر كونتي الغامبي أن العقيدة الأشعرية انتشرت في غامبيا مبكرا منذ منتصف القرن الخامس الميلادي، والتاسع الهجري، بظهور دعوة إمام الأشاعرة الشيخ محمد بن يوسف السنوسي الأشعري الذي نجح في الترويج للعقيدة الأشعرية في مؤلفاته ورسائله في كل من الأندلس والمغرب العربي وغرب إفريقيا، فانتشر فيها بشكل ملموس فتلقفها علماء البلاد منه، وفقهاؤها، وعلّموا الناس إياها في مجالسهم التعليمية، وفي خطبهم المنبرية، والعيدية، وغرسوا جذورها في النفوس، فتوارث الناس هذه العقيدة ولم يوجد لها منازع في ذلك العصر، حتى صار معظم أهل البلاد يدينون لله تعالى بها دون غيرها، في المسائل العقدية"[3].

المطلب الثاني: تأثير الإسلام في غامبيا

لقد تأثر أهل غامبيا بالإسلام تأثرا عجيبا، وتجلى ذلك في ميدان التربية والتعليم، وكذلك في لُغاتهم المحلية والعادات والتقاليد الشائعة في البلد، ويمكن أن نجمل هذا التأثر في النقاط الآتية:

أولا: يقول الباحث إسحاق جوف: "كانت اللغة العربية لغة العلم والثقافة وتدوين التاريخ والمراسلات، كما أن منهج التعليم في الكتاتيب يرتكز على تعليم القرآن الكريم، والتوحيد وفقه العبادات والقراءة والكتابة باللغة العربية. وكان الناس يتبادلون الرسائل إما باللغة العربية[4] أو باللغة المحلية بالحروف العربية، وظلت اللغة العربية قوية في غامبيا حتى في ظل الاستعمار البريطاني، وخاصة في المناطق الريفية حيث يرفض جل الآباء إرسال أبنائهم إلى المدارس الاستعمارية الإنجليزية بل يرسلونهم إلى الكتاتيب القرآنية، مخافة أن ينصرفوا عن دين الإسلام وعن ثقافته، وليتفقهوا في دين الإسلام ويعملوا به على الوجه الصحيح، وكذلك لغرس الأخلاق الرفيعة في نفوسهم، والسلوكيات الحسنة التي دعا إليها الإسلام"[5].

وهكذا ظلت اللغة العربية في غامبيا إلى يومنا هذا، بل يفيد التاريخ أن غامبيا لم تعرف سابقا أي تعليم سوى التعليم الإسلامي والعربي، وكانت لغة العربية من اهتمامات الإنسان الغامبي ولا غنى له عنها، وذلك قبل الاستعمار

1- الشيخ علي بدر فاي وجهوده في محاربة البدع في غامبيا، لأبي بكر كونتي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية، جامعة الإسلامية بمنيسوتا الولايات المتحدة الأمريكية، فرع السنغال، العام الجامعي: 2023م، (ص: 35).

2- ويقصد بهم أتباع أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي النجدي.

3- الشيخ علي بدر فاي وجهوده في محاربة البدع في غامبيا، لأبي بكر كونتي، (ص : 35)

4- الدعوة الإسلامية في غامبيا واقعها ومعوقاتها وسبل علاجها، لإسحاق جوف، (ص: 53)

5- الدعوة الإسلامية في غامبيا واقعها ومعوقاتها وسبل علاجها، لإسحاق جوف، (ص : 53)

وفرض تعليم الإنجليزية على شعب غامبيا.

ثانيا: تأثر لغات القبائل بالثقافة العربية الإسلامية بطريق اتصال القبائل بالتجار لوجود روابط تجارية قائمة بين التجار العرب وأفراد هذه القبائل، ولذلك "توجد في هذه اللغات كلمات كثيرة هي عربية الأصل، وبعضها يلفظ بنطقها العربي الصحيح وبعضها دخل فيه التحريف في النطق، إما بحذف حرف أو زيادته أو تبديل حرف بحرف آخر، ويلاحظ وجود هذا في الأسماء العربية، وأيام الأسبوع وغيرهما وخاصة في اللغة الماندنكية، فمثلا كملة بَرَكُو"،[1] و نِيمُو"[2]، و أَرْجُمُو"[3]، و أَرَبُو"[4]،و لُولُوُو"[5]، و ثَبَتُو"[6]، و سِبِتُو"[7]، و سُجُدُو"[8]، وغير ذلك من الكلمات[9].

تأثر العادات والتقاليد بالثقافة العربية الإسلامية

يمكننا القول إن الإسلام قد قضى على كل المظاهر السلبية التي كانت سائدة في المجتمعات البشرية قبل الإسلام، واستبدلها بمظاهر إيجابية تطيب بها الحياة ، ولكن مع ذلك فإن الإسلام لم يحرم كل العادات بل أقر منها ما كان موافقا للشريعة ، وحرم ما كان مبنيا على مخالفة صريحة للشرع الحنيف، أو أدى إلى مفسدة وهي تلك العادات السيئة التي لا ترقى بإنسانية الإنسان ولا تحترمه، ومن تلك العادات التي قضى عليها الإسلام في غامبيا هي: عدم توريث البنات ، وعدم مشاورتهن في الزواج أو الطلاق ، وعدم قبضهن لمهرهن حين يتزوجن، بل يأخذه والدهن وأقاربه، يقول الباحث إسحاق جوف الغامبي: "استطاعت ثقافة الإسلام بناء حضارات جديدة ، في غرب إفريقيا عموما وغامبيا خصوصا، وغيرت على نطاق واسع كثيرا من العادات والتقاليد المخالفة للشريعة الإسلامية ، فاندثرت عادة العري ، وتم تنظيم الزواج ، وتحديد عدد الزوجات، مع منح المرأة حق اختيار زوجها، ووقف عادة توريث المرأة للابن أو الأخ، كما حدد الإسلام العلاقة الأسرية وأعطى المرأة حق الحضانة، وتم تقسيم الميراث على أساس الشرع"[10]

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث سأتعرض لبعض النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال هذا البحث وهي ما يأتي:

أهم النتائج:

أولا: أنّ الإسلام هو أول دين سماوي دخل في غامبيا، قبل أن تتعرض للاستعمار ودخول النصرانية فيها، ولازالت الغلبة للمسلمين فيها، حيث يشكل المسلمون فيها نسبة 92٪ وهم يمارسون جميع شعائرهم الدينية بلا قيود، لأنهم هم الأغلبية السكانية، ولهذا السبب تعتبر غامبيا دولة مسلمة.

1- هي: البركة

2- هي: النعمة

3- هو: يوم الجمعة

4- هو: يوم الأربعاء

5- هو: اللؤلؤ

6- هو: الثبات

7- هو: يوم السبت

8- هو: السجود

9- ينظر: علاقة اللغة العربية باللغة المندنكية، لأبي بكر كمارى، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة البكالوريوس، جامعة إفريقيا العلمية، لعام 2022م، (ص : 24- 27).

10- ينظر: الدعوة الإسلامية في غامبيا واقعها ومعوقاتها وسبل علاجها، لإسحاق جوف، (ص :53)

ثانيا: لما دخل الإسلام في غامبيا دخل التعليم الإسلامي باللغة العربية، وسعى الداخلون في هذا الدين الجديد إلى تلقين أبنائهم بمبادئ الدين الإسلام، فبدأو بتعليم القرآن الكريم والفقه ثم بعد تعلم القرآن الكريم ينتقلون إلى باقي العلوم الدينية، ويرتحلون ويتفرقون في ربوع البلاد وخارجها من البلدان المجاورة طلبا للعلم، ثم بعد الطلب يتفرقون في أنحاء البلاد لنشر العلم والدين، وبالنسبة للمناهج فكان لكل معلم يختار ما يناسب طلابه، نظرا لغياب أية سلطة ملزمة تلزمه بهذا المنهج أو ذاك.

ثالثا: وبجهود هؤلاء العلماء انتشرت الكتاتيب القرآنية والمجالس العلمية في عديد من المدن والقرى والبوادي الغامبية، وعكف هؤلاء الجهابذة الأفذاذ على التعليم والتدريس وتلقين كتاب الله وعلومه لطلاب العلم عملا بقوله تعالى: ﴿وَاَذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:187]وقوله صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعمله)[1]، فبذلوا الغالي والنفيس في سبيل إعداد الطلاب والباحثين.

رابعا: الاستعمار البريطاني لغامبيا كان الهدف منه هو تغريب شعب غامبيا عن جذوره الدينية، وذلك ببناء الكنائس في جميع أنحاء البلاد. للأجل تنصير المسلمين وتحويلهم إلى النصرانية المحرفة، واسترقاق هذا الشعب المسلم، والسلب والنهب لثروة البلاد، ومحاربة الدين الإسلامي واللغة العربية التي كانت سائدة في البلاد وقتئذ.

خامسا: إن التعليم الإسلامي العربي في غامبيا قديم جدا، دخل مع دخول الإسلام في البلد، وهو أسبق من التعليم الغربي، لكن سيطرة التعليم الغربي على برنامج التعليم في غامبيا، كان من تخطيط الاستعمار لنشر أهداف التنصير في غامبيا، لكي يتسنى لهم تشجيع البعثات التبشيرية لتنصير أبناء المسلمين بكل الوسائل الممكنة، عن طريق التعليم.

التوصيات:

أولا: أدعو المسؤولين في التعليم الإسلامي العربي في الجامعات الإسلامية في غامبيا، أن يهتموا بالتراث الإسلامي الغامبي، وأن يقوموا بتكثيف الجهود في إحياء التراث عن طريق تكليف الطلاب الجامعيين بكتابة أبحاثه السنوية وبحث التخرج في مجال إحياء التراث الإسلامي.

ثانيا: أوصي بالاهتمام بالتراث الإسلامي الإفريقي عموما والتراث الغامبي على وجه الخصوص، والمساهمة في طبع الأبحاث التي تتعلق بهذا التراث وتحقيقه.

ثالثا: أطلب من الدعاة في غامبيا أن يتدرجوا بالمدعوين بدءا بصغار المسائل قبل كبارها، لكي يكونوا خير عون لهم في الفهم المطلوب والاستيعاب.

رابعا: أطلب من المعلمين في غامبيا أن يهتموا من خلال تدريسهم ببناء السلوك السليم لدى المتعلمين، وأن يحاولوا تصحيح وتطوير سلوك الطلاب إلى الأفضل.

1- سبق تخريجه في المقدمة.